

حقيقة النهضة الفنية المصرية

في النحت والتصوير

بقلم الرسام المصرى الشهير الاستاذ شعبان زكى

منذ ربع قرن بدأ المصريون لأول مرة يتلقون دروس الفن الجميل على اساتذة غربيين (في مدرسة الفنون الجميلة القديمة) التى انشأها صاحبة السمو الامير يوسف كمال .

وبعد بضع سنوات من إنشاء هذه المدرسة ذاتها بدأ تخريج الرسامين والمثالين والمعماريين ورجال الفن الزخرفى منها عاما بعد عام حتى إذا أوقت على عشر سنين ودن قد عاد إلى الغرب من أساتذتها من عادوقضى منهم من قضى نجده واستبدل السابقون الكرماء بلا حقيقين غير كرماء بدأ الانحلال يسرى فى هيكل التفكير النبيلة من نشاء معهد مصرى للفن الجميل .

كان الرجل من هؤلاء الاساتذة الكرماء قطعاً فنية بما يتطوى عليه من ذوق وخلق وحب وانعطاف للجمال ، وكان يحب مصر حتى من قبل أن يفد اليها ، وكان يكرم أبناءها لانهم أبناء أمة أنجبت قراغة ذوى حضارة وصوله وعلم وفن جميل ويعطف عليهم عطف المعلم المختار لتعليم أشبال الملوك — يلقيهم الدروس وهو يتأمل مواقع الكلام فى نفوسهم ليعرف ماهية النفس الانسانية ونفسه فى السياق ، وليستمد من جو يحيط به مايكمل هذه النفس الناشئة ونفسه فى السياق أيضاً .

كذلك كان الاساتذة الاولون بالمدرسة القديمة وبفضلهم أنجبت مصر الحديثة انخصب المواهب الفنية التى تتجلى الآن ويشهد لها أهل الغرب انفسهم ممثلة فى محمد حسن وعثمان دسوقي ومختار وعلى حسن واحمد صبرى ومحمد حمدي ويوسف كامل وراغب عياد و ابراهيم فوزى وأحمد لطفى وعلى الاهوانى ومن الهم فلما انقطعت

أسبابهم ولم يحل محلهم ذوى فضل كفضلهم أخذ التضعف يدب في المدرسة حتى ثلاث في العام الماضى دون ماغربة أو تأسف .

على هؤلاء الخريجين الذين ذكرناهم — وإلى جانبهم مصريون آخرون — سيأتى ذكرهم بعد — كانوا قد ذكرنا انفسهم بانفسهم ، قام أول معرض مصرى للفنون الجميلة فى بدو الثورة الاستقلالية فكان قيامه عام ١٩١٩ مظهراً شاهداً على جدارة مصر بالنهوض . وكذلك الفن الجميل هو دائماً عنوان النهوض والتحرر .

لم يكن ثمة شيء يعوق استمرار هذه الحركة الفنية لولا أن عيباً قد بدأ فى الرسامين المصريين وهو عيب ملازم لرجال الفن جميعاً ذلك انهم روجيون لاماديون ، فليس من بد عندهم ان يسلموا مقاليد المعارض التالى بله المعارض التالى جميعها لرجل مادی عادى يشغل أوقاته فى الحساب ليشغلوا هم فى التفنن .

وشاء الحظ العاثر ان بتطوع لخدمتهم رجل لوعرفت يومئذ اخلاقه ومعارفه ونواياه لتولوا بانفسهم الامر كله .

تولى إذن هذا الرجل مقاليد المعارض وكانت له بضاعة خاصة وجد الظروف ميسراً لعرضها ضمناً فكانت فى الظاهر ضمنية وهى فى الواقع كل شيء عنده — وأفلج الخيـث اذ عرف الناس وعرفه ناس وسعى ليـتـمـر الحال هكذا فقصـد ذوى جاد وآخـرين ذوى سلطان واستدرج هؤلاء بواسطة أولئك من طريق الحث على تشجيع الفنون وأخيراً تكونت (جمعية محبي الفنون الجميلة المصرية) بصفة جدية وشبه رسمية وعين هو فيها سكرتيراً دائماً حيث كان صاحب الفكرة التى ظاهرها حلوا وباطنها مر وساعده على هذا التوفيق ان الذين اقروه من ذوى الجاه لهم شبيبة نواياه وان الذين آمنوا عليهم من ذوى السلطان كانوا اكمل ذوى سلطان موضع تشريف لاموضع اشراف .

الا ان فيها وزراء ووجهاء وسيدات أصحاب فضل وعرفان لو ان الامر كان موكلًا بهم وحدهم لبلغنا فى الفن بنباهة أعلى مكان ولا يتح لجيلنا ان يبعث بنا لاجيال الاجداد فاصحاب السمو الامراء يوسف كمال ومحمد على وعيسى حلمي وسميحة حسين ومعالي الوزراء الذين تقلدوا الحكم وكل ذى اثر بعدهم فى نصرة الفنون من بينهم الاساتذة هيكل والعقاد والمازنى وعزى وسالم وخيرى سعيد ومن بينهم كذلك السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى ولها منا الرسامين كل عطف واجلال .

كل هؤلاء وغيرهم قد شاركوا رجال الفن انفسهم في نشر روح الفن — تلك المشاركة المتبادلة او هذا التجاوب النبل — هو الذى يحيل للبعض أن في مصر نهضة فنية يجرى فيها كل شئ بميزان

على أن الواقع الذى يعلمه اصحاب الفضل هؤلاء ويعلمونه وحدهم تقريبا هو من الخطورة بحيث لا يجب تركه محتفيا هذا الخفاء بل ان كشفه واجب على رجال الفنون بعد اذ اغفلته (جمعية بحى الفنون الجميلة المصرية) .

ليس غريبا ان تسأل ونحن نبحت في حقيقة النهضة الفنية — ماذا جنت مصر من (جمعية بحى الفنون الجميلة) مثلا مدى سنوات سبع ومن الادارة الفنية مدى اعوام ثلاثة؟ فان الذى جناه رجال الفن طول هذا المدى شئ واحد بدا هو الآخر يظهر للعيان، ذلك هو انسحابهم (الراسامين) من وادى هؤلاء النفعيين واستقلالهم بمعرض — هو انهم قد جدد عزمهم وتم تأزرهم على ان يضربوا مثلا عملية صالحة للذين هم مطالبون بهذه الاعمال بما وسعت سلطتهم والاعتمادات السخية التى تنهار عليهم كل عام

==

كنا مدة انضوائنا تحت لوائهم نعمل طوال العام وكل عام ثم تقام المعارض في مواسمها وبمحصولنا تقام وتحميا فاذا الغرم علينا كل مرة برغم تطوعهم حاة لفتنا وأجباء وحراساً .

وعرفناهم جيداً فعرفنا فيهم اناسا كل غايتهم مظهر لا جوهر، واثرة لا اثار، وكل حقيقتهم طلاء وادعاء لا خبرة او بلاء . وكان طبعيا — وهم بهذا الوضع — ان يتطوروا وان يضلوا فينبذهم رجال الفن جميعاً . وكان معرض (جماعة الخيال) اول مظهر لهذا البذ وكان معرض (الرابطة المصرية للفنانين) هو المظهر الجدى . الخطير .

أريد رى القارىء ماذا كان موقفهم حين نبذهم رجال الفن؟ اخذوا يقولون عنهم انهم مبتدون وانهم غير فنيين ولم يعملوا حسابا للخرج الذى يصيبهم عندما يسألون كيف كانت حمايتهم اذن للفن ورجاله، وما حكمة بقاء جمعيتهم بعد ان تحلى عنها الذين من اجلهم تكونت ؟ انبى لحماية المعارض الاجنية واقامة الاسواق

التجارية للكتب وما شابهها وهل يظل اسمها (جمعية محبي الفنون الجميلة المصرية) وهي إلى الآن لم تفكر في انشاء متحف قوى دائم ولا مكتبة فنية جامعة ولا محاضرات ولا نقد منتظم ولا جوائز ولا اى شئ من هذه الاشياء التى تساعد على نشر روح الفن فى البلاد ؟!

لا يجب أن نتكلم كثيراً فى جمعية أعضاؤها العالمون فضوليون . لا ولا نريد أن نسدى إليها نصحاً ، فقد أصبحت فى نظرنا بحيث لا تستحق النصح أو الارشاد ... على أننا قد نكون قساة عليها فى رأى البعض ولهذا نود أن تقدم شاهداً سيراً يؤيد رأينا ويوافق آراء سبق أن وجهت لجمعية محبي الفنون الجميلة تارة وللادارة الفنية أخرى فى مناسبات شتى فكانت كصباحات فى واد ليس فيه موضع لرجاء .

ذلك الشاهد الذى تقدم للقراء هو خلاصة حديث للاستاذ عزيز طلحة مع الاستاذ الكبير جارتيا الرسام الايطالى الأشهر وقد نشر الحديث مفصلاً (بالسياسة) اليومية حديثاً ، واليك خلاصة الحديث : بين ضيوف مصر المصور الايطالى الطائر الصيت ج . جارتيا احد اعلام الفن الجميل لافن إيطاليا وحدها بل فى العالم جميعاً من يفاخر به مواضعه فى معرض الموازنة بين فنانى إيطاليا وسواها من الدول الحية ، أتبع لى أن اجتمع به بفندق شبرد حيث ينزل . وهو الذى رسم السنيور موسوليني يوم زحف بجيش الاقصية السوداء على رومة فتدست إيطاليا تلك الصورة وأودعتها متحف روما تخليداً للذكرى التى اليها تشير قال جارتيا فى معرض الحديث : ان العالم الآن يعنى كثيراً بالفن والفنانين إذ أن الفنون الجميلة هى فى الحق فؤاد الرقى والتكوين وواسطة التدريج فى مراقى السمو والعظمة وهى الأداة التى تخلق فينا الفنون العلمى وتنب فى أنفسنا الميل إلى التنظيم والتنسيق كما تدنيا من حل لغز الحياة .

، والفنون الجميلة منابت للخصب مستحثة تلك هى المتاحف القومية وأخرى طبيعية تلك هى الطبيعة وانه ليخيل إلى أن مصر مهدها ووطنها الصميم وكما كان اسفى شديداً حين كنت أرى المصريين منصرفين فى الايام الخالية عن الفنون الجميلة وكما كان اغتباطى شديداً حين حضرت إلى مصر لثانى مرة فى حياتى فالفيتها وثابة فى هذا الميدان تريد الوقوف منه فى المسكان اللائق بها . فصرحتاً بلاد الفنون الجميلة ومرتعها الطبيعى الخصب ،

ولكن هناك أمراً يجب التوفر على تحقيقه قبل فوات الفرصة ذلك أنه من الواجب أن تعنى وزارة المعارف بتنظيم الفنون الجميلة في مصر لا بمعونة رجال العلم فحسب بل بمساعدة الفنانين أيضاً . فقد رأيت لبعض المصريين هنا لوحات أعجبت بها حقاً ، ويجب أن تكون في الوزارة وحدة قائمة بذاتها يديرها رجل مثقف ويشرف على أقسامها المختلفة رجال الفن الذين يعول على خدمتهم . من هذه الأقسام المختلفة تنظيم المعارض الفنية والرحلات والتشيل وما إلى ذلك . أما إذا ظلت الحال سائرة على حالها اليوم فإن النتيجة تكون غير متكافئة مع المجهودات الموزعة التي نبذلها مصر الآن الخ ... الخ ...

ذكرنا من الخريجين الفنانين بعض الأسماء ولم نذكر أسماء إخوانهم في الجهاد ، وهم من كونوا أنفسهم بأنفسهم أمثال هدايت وامين العمرى بك ومحمود سعيد وناجى وشفيق شاروبيم وأحمد يوسف وليب تادرس وسليمان وبولس ، لا ولم نذكر بعض من تخرجوا من مدارس فنية غير الفنون الجميلة الملقاة أمثال الاساتذة احمد احمد يوسف وصالح الشيبى ورجب عزت . فلهؤلاء جميعاً إلى جانب الأولين فضل الحركة والحياة وعلى آكتافهم سويًا قامت النهضة الفنية الحديثة في مصر وما تزال تقوم .

والذي نرجوه لهذه النهضة التي هي نبراس لغيرها في الشرق العربي أن تتم لها أسباب الاستقرار وليست تتم هذه الأسباب إلا بالاستعانة الجدية بالفنانين . وبعد إثبات ما تقدم قرأنا في الصحف انه قد جرى تعديل في الإدارة الفنية وان الشؤون التي تمس الفنون أصبحت جميعها موكلة بإدارة استاذ جليل هو الهلالى بك الوكيل المساعد الجديد لوزارة المعارف العمومية . فهدأ البال واطمأن القلب وناجنا صوت من الضمير ان ترقب منذ اليوم عاقبة للصبر وثمرة للجهاد ، وأحسننا كأن في الجواب يلمح برجاه ، لعل هذا الخبر الجديد فاتحة كل خير جديد ،

سعيد زكى

